دور التعصب المذهبي في تأثير أخلاق العوام
دراسة في ضوء الفقه الإسلامي

Muhammad Sutrisno Bin Syamsuir[1], Taufiq Hidayat[2], Fadhli Ananda[3], Nurhadi[4]
Internasional Islamic University Malaysia[1,2,3] , STAI Al-Azhar Pekanbaru[4]
wardanarrawy90@mail.com , Syeikhtaufiqhidayat@gmail.com

ملخص البحث

يهدفهذاالبحث إلى كشف دورالتعصب المذهبي في تأثير أخلاق العوام، معتمداًفيذلك، علىالمنهجين: الاستقرائيوالتحليلي؛وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي في جمع البيانات من ثنايا المصادر، والمنهجالتحليلي في دراسة تلكم البيانات المتمثّلة في ضوء الفقه الإسلامي. وبما أن الموضوع عن التعصب المذهبي قام البحث باستعراض تعريف التعصب المذهبي مع بيان أشكاله، وأسبابه، وحكمه، و نماذج واقعية عن تأثير التعصب المذهبي في أخلاق العوام. وتوصل البحث إلى جملة من نتائجأبرزها: خطورة التعصب المذهبي لدي العوام ما يسبب كثيرا من الفرقة والفتن بين المسلمين، وذلك ما يسر الأعداء لتفريق صفوف المسلمين. وليعلم أن التعصب المذهبي ليس منهيا على العوام من الناس فحسب، بل هو منهي على جميع الطبقات العلمية أيا كان، لأنه رفض للحق عند ظهور دليله، وهذا يضر على جميع الناس علمائهم وعوامهم، فيقع الفوضى فيما بينهم، وأن العوام ربما تعلموا أو سمعوا عالما يبين الخطأ، ولكن لم يتعلموا كيف تصحيح الخطأ وكيف علاجه، لذا وقع كثير من سوء التفاهم بين الناس لتجرأهم بيان الخطأء بلا حكمة وقدوة حسنة.هذا وفي الآخير يوصي الباحثون بما يلي: دعوة لعالم أن يصلح ويداوي هذه القضية قدر الإمكان من العلم الشرعي الذي لديه، ويحاول دوام النصح، ويستمر بيان حق وتصحيح خطأ بالحكمة والموعظة الحسنة. وعلى المتعلمين عليهم أن يتسلحوا بسلاح العلم والجهد في طلبه ليذهب هذه الصفات من أنفسهم، وعلى الوالدين والمعلمين عليهم أن يتعاونوا على تربية أولادهم تربية إسلامية منذ نعومة أظفارهم، حتى لايبقى لهم مجال لمثل هذا المرضالذي تشكل في روحهم العلمية في مستقبل الأيام.

التمهيد:

تم تقسيم هذا البحث إلى المحتويات التالية:

يحتوى البحث على ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريفالتعصبالمذهبي

المبحث الثاني: أشكالالتعصب

المبحث الثالث: بدايةظهورالتعصبالمذهبيوتطورهفيالتاريخالإسلامي

المبحث الرابع: أسبابالتعصبالمذهبي

المبحث الخامس: حكم العصب المذهبي

المبحث السادس: نماذج واقعية عن تأثير التعصب المذهبي في أخلاق العوام

الخاتمة

المصادر والمراجع.

الإطار النظري للبحث:

أهمية البحث:

تتبين أهمية البحث بعد عرض مشكلته وذكر واقعه اليوم في التعصب المذهبي من خلال الفقرات الآتية:

1. إن هذا البحث محاولة من الباحث لمعرفة علاج التعصب المذهبي الواقع في الأمة الإسلامية ومعرفة الحلول عن تلك االقضية المؤلمة منذ العصور القديمة مع إعطائه الحكم الشرعي وبيان آثاره.
2. تسهيل الصعاب وتمهيد السبيل لمن أراد الاستفادة من الموضوع سواء كان من طلاب العلم أو غير ذلك.

3. تزويد المكتبة الثقافية في العلوم الفقهية بالبحث عن موضوع التعصب المذهبي في لون جديد حيث سيتبين الأمر جليا إن شاء الله تعالى من خلال تأثيره في أخلاق العوام.

أهداف البحث:

1. بيان حقيقة التعصب المذهبي وأسبابه.
2. توضيح أثر التعصب المذهبي في أخلاق العوام.
3. ذكر النماذج الواقعية لأحوال العوام المتعصبين.

منهجية البحث:

أما المنهج الذي سيتناوله الباحث في هذا البحث فسيعتمد على المنهجين التاليين:

1. **المنهج الاستقرائي:** سيسير الباحث بهذا المنهج لكشف هذه القضية من خلال تتبع الجزئيات في الكتب والمعطيات المتعلقة بالبحث والنظر في كل ما ورد ذكره عن التعصب المذهبي وتأثيره في أخلاق العوام.
2. **المنهج التحليلي:**سيسلك الباحث بهذا المنهج لتحليل المسائل الواردة المتعلقة الموضوع بذكر أقوال العلماء من الكتب الفقهية والأصولية قديما وحديثا.

الدراسات السابقة:

دراسة: (**التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي– خلال العصر الإسلامي– مظاهره، آثاره، أسبابه، علاجه**)[1].كتابكتبه الدكتور خالد كبير علال عن التعصب المذهبي،يحتوى الكتاب على تعريف التعصب المذهبي وبدايات ظهوره في التاريخ الإسلامي ومظاهره في الحياة الاجتماعية والحياة العلمية والحياة السياسية، ثم جعل الدكتور في آخر الفصل من كتابه فصلا عن آثار التعصب المذهبي وأسبابه وعلاجه.

[1] خالد كبير علال، **التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي خلال العصر الإسلامي مظاهره آثاره أسبابه علاجه**،(الجزائر: دار المحتسب، ط1، 1429هـ/2008م).

وكذلك الدراسة: بعنوان "**التدابير الواقية من التعصب المذهبي وأثرها على أمن المجتمع**"[2].أورد الباحث في بحثه ثلاثة فصول مهمة: الفصل الأول: التعصب المذهبي حقيقته وتاريخه وأسبابه، والفصل الثاني: التدابير الواقية من التعصب المذهبي، والفصل الثالث: آثار التدابير الواقية من التعصب المذهبي على أمن المجتمع.

ثم الدراسة التي لها صلة بالموضوع، ما كتبه أستاذ الدعوة المشارك بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة تحت موضوع "**التعصب الفكري وأثره في العمل الإسلامي المعاصر**"[3].أورد فيه صاحب البحث ثلاثة مباحث مهمة حول التعصب الفكري وأسبابه وأثره على العمل الإسلامي المعاصر مع ذكر سبل مواجهته. ذكر فيه أن بوادر التعصب المذهبي الأولى ظاهرة منذ القرن الثاني الهجري، وهو نزاع وقع بين المدرستين أهل الرأي وأهل الحديث.

والدراسة الأخير: ما كتبه الدكتور حسن الجوجو عن التعصب المذهبي في بحثه تحت العنوان "**التعصب المذهبي والتطرف الديني وأثرهم على الدعوة الإسلامية**"[4]. يشتمل الموضوع على خمسة مباحث مهمة، ذكر فيها معنى التعصب المذهبي والتطرف الديني وأسبابهما وأثارهما على الدعوة الإسلامية، وتميز الدكتور في سرد عدد خطير من أثارهما على الدعوة الإسلامية منها: أنهما سببا التفرق في الدين والخصومة والبغضاء، وحالة فوضى في الفتوى والمرجعيات الفقهية، والاستخفاف بمكانة العلماء ودورهم في المجتمع، وقتل روح

---

[2]مجلي بن عبد الرحمن بن عبد العزيز المجلي، **التدابير الواقية من التعصب المذهبي وأثرها على أمن المجتمع**، وهو بحث مقدم استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العدالة الجنائية بجامعة نايف العربية للعلوع الأمنية كليات الدراسات العليا قسم العدالة الجنائية، (الرياض: د.ط، 1429هـ- 2008م).

[3] أستاذ الدعوة المشارك بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة، **التعصب الفكري وأثره في العمل الإسلامي المعاصر**،وهو بحث مقدم للمؤتمر الدولي: آفاق العمل الإسلامي المعاصر وضوابطه الذي تعقده كلية الشريعة عام 2013م، (غزة: د.ط، 1433هـ/2012م)

[4]حسن الجوجو، **التعصب المذهبي والتطرف الديني وأثرهم على الدعوة الإسلامية**، وهو بحث قدم لمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة، 7-8 ربيع الأول 1426هـ، الموافق 16-17 أبريل 2005م.(غزة: د.ط، د.ت)

الإبداع والبحث العلمي في الأمة، وتشويه صورة الإسلام بالتعصب والتطرف، واستنزاف ثروات الأمة وطاقتها. ثم أورد مبحثا عن دور العلماء في حماية الأمة منه ومعالجتهم له.

وكل الدراسات المذكورة تستدعي الباحثين لنظر تلك القضية في بحث مستقل تحت عنوان"التعصبالمذهبيوأثرهفيأخلاقالعوام،دراسةفيضوءالفقهالإسلامي"، مستعينين من الله عز وجل في تتمة كل ما بذلوا من هذه المسألة، وهو الله الموفق إلى أقوم الطريق.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعصب المذهبي وأثره في أخلاق العوام: دراسة في ضوء الفقه الإسلامي

المقدمة

إن التعصب المذهبي لباس قديم يلبسه عواماليوم بلون جديد، وهو كالحرباء تتحول من مكان إلى مكان متلبسة حسب لون أينما حطت، وهي خضراء في مكان أخضر، وصفراء في مكان أصفر، وزرقاء في مكان أزرق، وحمراء في مكان أحمر، وما غير ذلك، كم من ناظر افتتن عند نظرها، وتعجب بألوانها متنوعة،من غير أن يشعر أنه كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماء حتى إذا تأمله ودقق النظر إليه وجد نفسه مخدوعة. نعم، هكذا لباس التعصب المذهبي إذا لبسه فئة من الناس، قد انخدع بعض الناس بأشكاله وألوانه المتجددة خلال العصر الإسلامي، وهو في الحقيقة لا يزيد للجميل جماله ولا للحسن حسنه، إنما يجعل في الشئ شرا وفتنة، والعياذ بالله. وهو كمرض تشكل في أجسام العوام كألوان الحرباء تزين لناظره ألوانا مختلفة، الذي يزيد في أخلاقهم سوءا، وفي تعاملهم نقصا وفي دينهم عيبا، لماذا؟ لأنه رفض الحق عند ظهور دليله،والتعصب المذهبي يجر صاحبه إلى أفعال وأعمال قد تنكر عليها الشريعة الإسلامية السمحة، مع أنها تحث على أمتها بالوسطية والتخلق بالأخلاق الفاضلة والرحمة والمعاملة الحسنة من غير إفراط ولا تفريط.

وزد على ذلك أن العوام إذا تمذهبوا بمذهب يتعصبون به جعلوا كل وسائل وعوامل دافعة لنصرة مذهبهم، وأشد من ذلك،إنهم تمسكوا به ولو بعد أن تبين لهم الحق، وعلى ذلكهم يحسبون أنهم قد يحسنون صنعا.

نعم، إنه لمرض تألم به المسلمون منذ أزمنة طويلة، وواقعه اليوم ليس كواقعه الأمس وربما ليس كواقعه الغد بل قد يتشابه أو يتجدد أويتغير حسب عصره. نجد اليوم أن بعض الناس لايصلون إلا في مساجد طوائفهم، ولايسمعون العلم إلا من أساتذتهم أو شيوخهم، وينسبون الخير والمنهج الصحيح فقط لرجال أمثالهم، فنسمع مصطلحا جديدا كمسجد السنة، أوأستاذ السنة، أو غير ذلك من مصطلحاتهم، ماهذا إلا لون جديد من ألوان التعصب المذهبي في عصرنا الحاضر.

ومن هنا يدعو الباحث إلى معرفة نماذج واقعية التي تصور لنا كيف أخلاق العوام والمتعصبين ومواقفهم في الفقه الإسلامي مع التعصب المذهبي.

المبحث الأول: تعريف التعصب المذهبي

التعصب في اللغة:مأخوذ من العصبية، والعصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبيته والتألب معهم على من يناوئها ظالمين كانوا أو مظلومين، كما يقال تعصبنا له ومعه نصرناه[5].

وأما التعصب في الاصطلاح: هو الانحياز التحزبي إلى شيء من الأشياء، فكرة أو مبدأأو معتقد أو شخص، إمّا مع وإمّا ضد. والتعصب للشيء هو مساندته ومؤازرته، والدفاع عنه، والتعصب ضد الشيء هو مقاومته، وقد يتداخل الأمران في فعل التعصب الذي يتجلى فيه التهور والتحمس والعنف معاً. ويرتبط مفهوم التعصب في أذهان كثير من الناس بالجانب السلبي منه، ذلك أن التعصب هو في أساسه نظرة سلبية إلى الغير، والمتعصب يتجه إلى

[5] انظر: ابن منظر، **لسان العرب**، د.م، د.ط، د.ت، ج1، ص 602-607.

تحقير الآخرين وإلحاق الضرر بهم، أكثر مما يميل إلى تأكيد مزاياهم الخاصة أو الحصول على كسب منفعة خاصة[6].

والمذهب في اللغة: مشتقة من كلمة ذهب كمنع ذهابا وذهوبا ومذهبا فهو ذاهب وذهوب: سار أو مرّ وبه: أزاله كأذهبه وبه. والمذهب هو المتوضَّأ والمعتقد الذي يذهب إليه والطريقة والأصل[7].

وأما المذهب في الاصطلاح: أورد الشيخ أحمد النحراوي تعريف المذهب عند أهل التشريع بأنه: مجموعة من آراء المجتهد في الأحكام الشرعية، استنبطها من أدلتها التفصيلية، والقواعد والأصول التي بنيت عليها، ارتبط بعضها ببعض، فجعلها وحدة منسقة[8].

إذن، فالتعصب المذهبي: هو المغالاة في انتصار مجموعة من آراء المجتهد في الأحكام الشرعية، استنبطها من أدلتها التفصيلية، والقواعد والأصول التي بنيت عليها، وارتبط بعضها ببعض، فجعلها وحدة منسقة دون دليل. وهو القول بأن مذهبه هو الصواب وغيره على خطأ، ويعادى ويخاصم أو يبدع أو يضلل مخالفه في المذهب ويفرق كلمة المسلمين، ويتحاكم إلى المذهب عند النزاع، ومخالفة النصوص الصحيحة الصريحة تعصبا للمذهب[9].

المبحث الثاني: أشكال التعصب

---

[6] انظر: **التعصب في الموسوعة العربية**، http://arab-ency.com.sy/detail/3613

[7] انظر: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، د.م، د.ط، ج1، ص111.

[8] أحمد نحراوي عبد السلام، **الإمام الشافعي في مذهبيه القديم والجديد**، (إندونيسيا: مئسسة النحراوي)، ط4، د.ت، ص209.

[9] إبراهيم بن عبد الله المزروعي، **التعصب المذهبي وآثاره**، د.م، بيت الأفكار الدولية، ط1، 2017م، ص18-19.

ليعلم القارئ الكريم والجميع أن التعصب ليس بواحد فحسب، بل هناك عدد من التعصبات أو العصبيات التي تشكلت بالشكل الموصوف حسب صفة التى ارتكبتها، وسيبين الباحث هناأشكال التعصب مع التعريف لكل شكل.

1. التعصب العنصري

فالتعصب العنصري هو الذي أكده القرآن الكريم وجوده حين أجاب إبليس رفضه السجود لآدم عليه السلام: قال الله عز وجل: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**﴾: أي أن الله يسأله ما الذي يمنعك عن السجود إذ أمرتك؟. فأجابه إبليس لعنة الله عليه: ﴿ **قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾[10]. ادعى إبليس أن عنصرية النار خير من عنصرية الطين، ويحسب أن ذلك إهانة لعنصرية خلقته عندما أمره الله بالسجود، فوقع في التعصب العنصري لن ينساه التاريخ إلى الأبد، ونصب راية العداوة بينه وبين بني آدم طول حياته وإلى وقوع الساعة، فوقع في هلكة كتبها الله له:﴿**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾[11].

2. التعصب الديني

التعصب الديني هو مصطلح لوصف التمييز على أساس الدين هو إما بدافع تعصب المرء خاصة تجاه المعتقدات الدينية أو التعصب ضد الآخر، أو معتقداتهم الدينية أو الممارسات. يمكن أيضا أن يكون جزءا رسميا من عقيده خاصة من الجماعات الدينية.والتعصبالديني يمكن أيضا أن يكون ادعاء بتمايز أصحاب دين من الأديان على أصحاب الديانات الأخرى[12].

3. التعصب الطبقي

[10] سورة الأعراف: 12.

[11] سورة الأعراف: 13.

[12] انظر: تعصب ديني/https://ar.wikipedia.org/wiki

التعصب الطبقي هو كيبرز في عدم رغبة الطبقات الغنية في أن تشارك الطبقات الأدني في الأحياء نفسها، أو أن تتاح لهذه الأخيرة فرص الانتماء إلى منتدياتها، ومنظماتها الاجتماعية والثقافية والترويحية، وقد ينعكس هذا الحس الطبقي المتعصب على مؤسسات التعليم كما يحدث ذلك في بعض المجتمعات الغربية حيث يقتصر القبول في بعض الجامعات على أبناء الطبقات المترفة بسبب أجورها الدراسية العالية مما يضطر الفقراء إلى إرسال أولادهم إلى جامعات ذات تكلفة رخيصة نسبيا، وهكذا تصبح الشهادة العلمية رمزا طبقيا يؤكد مكانة حاملها وأسرته الاجتماعية[13].

4. التعصب الجنسي

والتعصب الجنسي من الأشكال المهمة للتعصب، ويشتمل على نوعين من الاتجاهات التعصبية، الاتجاهات التعصبية إزاء المرأة والاتجاهات التعصبية نحو الرجل ولو أن الأول حظي باهتمام أكبر من قبل الباحثين في ميدان علم النفس الاجتماعي. والتعصب الجنسي معروف بأنه اتجاه سلبي نحو المرءة، فهو ينطوي على تصورات نمطية خاطئة ومشاعر الأكراه والحقد وكذلك أفعال وسلوكيات تتسم بالطبع التمييزي تتجسد في ميادين العمل والتعليم والسياسة وغيرها[14].

5. التعصب القرابي

تلازمت ظاهرة التعصب القرابي التي تجبر الأفراد المنتمين إلى مجموعة قرابية واحدة إلى نصرة بعضهم بعضا في مواقف الشدة مع البيئة الطبيعية القاسية. ففي مثل هذه البيئات توصل الأقارب إلى اتفاقات تلزمهم بتقديم العون لبعضهم البعض ضد الجماعات الأخرى، وأدى ذلك إلى تكوين توقعات راسخة لدى كل فرد منهم بأنه سيجد النصرة والمساعدة من أقاربه عند الحاجة، ولا سيما في أوقات النزاع أو الحروب مع الجماعات الخارجية الأخرى ويحصل

[13] هيوا حاجى ديلوبى، **الاتجاهات التعصبية بين الجماعات العراقية**، د.م، ط1، 2008، ص93.

[14] هيوا حاجى ديلوبى، المرجع السابق: ص93.

الفرد على الدعم من أبناء عشيرته أو قبيلته بغض النظر عن أسباب أو مدى أحقيته في النزاع[15].

6. التعصب الرياضي

والتعصب الرياضي له صور عديدة منها الميول نحو تشجيع الفرق الرياضية، والاعتقاد بأنها أحسن فرقة من سائر الأندية الأخرى، وتفضيل الأشخاص الذين شاركوا في تشجيع الفرقة نفسها[16]، فالتعصب الرياضي هو الميل المفرط لفئة ما على حساب المبادئ والقيم، كأن ينتمي الشخص إلى قبيلة أو مذهب أو فرقة رياضية، يوالي من أجلها ويعادي في سبيلها، ويحب فيها، ويبغض فيها،ويدورحولها في أفكاره وسلوكياته، فضلا عن الولاء والبراء من أجل الفساق والمجانين[17].

7. التعصب الفكري

التعصب الفكري هو رفض فكر الآخر وعدم قبوله والاستماع إليه، وترك التجرد والإنصاف في الحكم عليه، والتشدد في التعامل معه ونقده بألذغ الصور، وتكوين صورة وإطار معين لفكر المخالف، مشوبة بكثير من الأخطاء والمغالطات، لأنها قائمة على أسس واهية من التعصب والتحجر، فالتعصب الفكري التفاني في الدفاع عن حكم مسبق في الذهن، دون القبول بأي حكم أو رأي يخالفه[18].

8. التعصب العرقي

التعصب العرقي أو ما يعرف بالتمركز العرقي من أشكال التعصب الظاهرة في الحضارة الإنسانية وهو عدم قبول عرقي الآخرين والدفاع عنه دون قبول من يخالفه.وللتمركز العرقي

---

[15] هيوا حاجى ديلوبى، المرجع السابق: ص96.

[16] انظر: هيوا حاجى ديلوبى، المرجع السابق، ص 99.

[17] إياد أحمد محمد إبراهيم، **أسباب التعصب الجماهيري الرياضي وعلاجه رؤية شرعية**، (الرياض: المجلة العربية للدراسات الأمنية والأدب)، د.ط، 2016 م، ص114.

[18] أستاذ الدعوة المشارك بكلية أصول الدين الجامعة الإسلامية بغزة، **التعصب الفكري وأثره في العمل الإسلامي المعاصر**، د.ط، 2012م، ص7.

إيجابيات عديدة منها: تقوية روح الولاء والنزعات الوطنية، إلا أنه للأسف في الوقت نفسه يترتب على التمركز العرقي سلبيات خطيرة فهو غالبا امتناع وانقطاع روح التجديدات والتغيرات التي قد تكون هناك أحيانا إيجبيات كثيرة، ويحرم المجتمع من ابتكارات وإبداعات الآخرين في الحضارات الأخرى التي تساعد على توفير الحلول للمشاكل الحادثة، كما أنه يسبب الفقر الثقفي والتقصير في الحصول على ينابيع المعرفة البنائة والتبادل العلمي والمعرفي[19].

9. التعصب الحزبي أو الطائفي

عرف الدكتور زياد بركات التعصب الحزبي بأنه: تعصب الشخص لفئة أو لجماعة ينتسب إليها، والانتصار إليها بالحق والباطل، وإضفاء صفة العصمة والقداسة عليها، والتركيز على مزاياها ومحاسنها، ويعظمها ومهاجمة غيرها بذكر عيوبها وسيئاتها ويحقرها[20].

كما هو معلوم في التاريخ وقوع التعصب الحزبي أو التعصب الطائفي كتعصبات الخوارج ضد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وقتالهم.

10. التعصب المذهبي

كما عرض الباحث سابقا تعريف التعصب المذهبي بأنه: المغالاة في انتصار مجموعة من آراء المجتهد في الأحكام الشرعية، استنبطها من أدلتها التفصيلية، والقواعد والأصول التي بنيت عليها، وارتبط بعضها ببعض، فجعلها وحدة منسقة دون دليل. وهذا هو موضع البحث الذي يكتشفه الباحث من خلال دراسته إن شاء الله.

المبحث الثالث: بداية ظهور التعصب المذهبي وتطوره في التاريخ الإسلامي

كانت الأحداث تعرض على كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وعلماءهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فإن لم يعرفوا نصا فيها من المصدرين الأساسيين (القرآن

[19] هيوا حاجى ديلوبى، **الاتجاهات التعصبية بين الجماعات العراقية**، ص88.

[20] انظر: أستاذ الدعوة المشارك بكلية أصول الدين الجامعة الإسلامية بغزة، المرجع السابق، ص11.

والسنة) اجتهدوا رأيهم، وقالوا قولا فيها، فأصبحت أقوالهم مستندات التشريع فيما بعد، لأنهم أقرب الناس إلى مشكاة النبوة وعرفوا مناحي الشريعة ومجراها، أخذ الاجتهاد دورا هاما في التشريع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، وأحيانا تبين أن ما قاله الصحابي رضي الله عنه باجتهاده قد صدر حكم فيه منه صلى الله عليه وسلم يوافقه، إلا أنه لم يبلغه أو لم يعلمه، فصار هذا مؤكدا له، وأحيانا ظهر حديث آخر يخالف رأي الصحابي فيعدل عنه وأخذ بالحديث، وأحيانا قد ثبت الحديث ولكنهم يختلفون في علته، وذلك مثل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام للجنازة، فاختلفوا في تعليل قيامه لها، فقال قوم: ذلك لتعظيم الملائكة تحف بالميت، أو لهول الميت، فيعم الوقوف للميت المسلم والكافر، وقال آخرون: إنها كانت ليهودي، فكره النبي صلى الله عليه وسلم أن تعلو فوق رأسه، فالقيام يخص للكافر[21].

ثم اختلفت آراء العلماء والفقهاء بعدهم، والواقع أنه لم يخل إمام من أئمة الإسلام سواء كان من أهل الرأي أو من أهل الحديث من القول بالرأي، لأنهم مضطرون إلى ذلك، ولأن تقدم الأحوال وتطور الزمان جعل كل يوم حوادث جديدة تحتاج لفتاوى العلماء.

فعلى مستوى الفروع (أي الفقه) فإن الناس في زمن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم لم يكونوا متمذهبين، فكان العلماء اجتهدوا لاستنباط الأحكام الشرعية، وأما غير المجتهدين منهم يسألونهم فيما لم يعرفوا، وكان العوام يقلدونهم بلا تمذهب ولا التزام بشخص معين منهم[22]. لذا لم يعرف المسلمون التعصب المذهبي الفقهي المذموم في زمن هؤلاء طيلة نحو ثلاثة قرون، فتغير الحال في القرن الرابع الهجري وما بعده حيث انتشر التمذهب الفقهي بين المسلمين، وصاحبه التعصب المذهبي بينهم بشكل واسع[23].

---

[21] انظر: أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة)، د.ط، 2012م، ص504-505.

[22] انظر: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، (بيروت: دار المعرفة)، د.ط، د.ت، ص90-91.

[23] انظر: خالد كبير علال، **التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي**، ص 8-9.

المبحث الرابع: أسباب التعصب المذهبي

التعصب المذهبي له أسباب تتعلق بالأفراد والمجتمعات، كسوء التربية وتحكم العادات والتقاليد، من الأسباب القوية لنموة العصبية بالمجتمع والفرد، فالعصبية تدفع الأفراد والمجتمعات إلى سوء التصرف والمعاملة انتصارا لتقاليدهم وقبائلهم، كما عبر الشيخ محمد الغزالي عن العصبية: إنها حماس يشتعل وليست حقا يضيء[24].

قسم الدكتور خالد كبير علال أسباب التعصب المذهبي في كتابه "التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي" إلى قسمين: قسم ما سماه بأسباب أساسية، وقسم ما سماه بعوامل مساعدة تولدت عن الأسباب الأساسية[25]. ففي هذا المبحث يذكر الباحث عددا من الأسباب التي ذكرها الدكتور خالد مع زيادة ذكر أسباب أخرى التي اكتشفها خلال دراسته.

أسباب أساسية

الأول: عدم الالتزام الكامل والصحيح بدين الإسلام على مستوى المشاعر والسلوكيات والأفكار.

إن الطوائف التي وقعت في التعصب المذهبي لم تلتزم بشريعة الإسلام التزاما كاملا، وانحرفت عنها انحرافا بعيدا، كانحراف الشيعة في سبهم للصحابة وانتقاصهم والطعن في أعراضهم وتضليلهم، وهؤلاء يعرفون أيضا بالرافضة لرفضهم أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومن يتولاهم. فإن التعصب المذهبي الأعمى لديهم هو الذي أوصلهم إلى ارتكاب هذه الأفعال والجريمة الخطيرة، كسبهم للصحابة في دولة العبيديين بمصر والمغرب، فبالمغرب هم قذفوا الصحابة جهارا نهارا، وسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشد من

---

[24] انظر: محمد الغزالي، **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**، (مصر: نهضة مصر)، ط6، 2005م، ص9.

[25] انظر: خالد كبير علال، **التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي**، ص164-165.

ذلك علقوا رؤوس حمير وكباش على الحوانيت وكتبوا عليها أنها رؤوس الصحابة. وفي مصر سبوا الصحابة علانية حتى أعوان الدولة ينادون في الناس أن من يلعن ويسب أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم له مكافئة مادية ومالية[26]. وانحراف الخوارج في تكفيرهم من وقع في الكبائر، وانحراف المعتزلة في اعتقاداتهم أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر[27] أو ما يسمى بالمنزلة بين المنزلتين، وأن القرآن ليس بكلام الله ولكنه مخلوق.

الثاني: طبيعة المذاهب الفكرية الطائفية في العقائد والمقالات

فطبيعة الطوائف تختلف في بعضها عن أخرى، فالطوائف المنحرفة معظم أصولها باطلة ومتطرفة تبعث على التعصب الأعمى والغلو والتطرف كما ذكر الباحث سابقا كانحرافات الشيعة والمعتزلة والخوارج، وأن أقوى أسبابها هو التعصب المذهبي المقيت.

الثالث: ردود أفعال أتباع المذاهب في تفاعلهم مع مذاهبهم

فمن الطبيعي أن ردود أفعال أتباع المذاهب تولدت الرغبة فيهم للانتصار لها والدفاع عنها. لكنها تختلف حسب دوافعها الطبيعية، فمن كانت لهم ردود الأفعال خيرة سليمة قائمة على مبادئ صحيحة فردود أفعالهم مبنية على أفعال شرعية، وذلك غالبا تجرهم إلى الانتصار للحق، ومن كانت لهم ردود الأفعال شريرة قائمة على مبادئ باطلة منحرفة فردود أفعالهم مبنية على أفعال غير شرعية وذلك غالبا تجرهم إلى التعصب المذهبي والانتصار للباطل.

العوامل المساعدة التي تولدت عن الأسباب الأساسية للتعصب المذهبي

إن هذه العوامل هي التي ساهمت في انتشار التعصب المذهبي، واتساع دائرته، واشتداد قوته.للتعصب المذهبي الجوانب الإجابية لا ننكرها، من إيجابياته: دفع أتباع التعصب المذهبي إلى الجهد والاجتهاد لخدمة مذاهبهم، فتولد منه إنشاء المؤسسات العلمية الكثيرة،

[26] انظر: خالد كبير علال، المرجع السابق،ص12.

[27] انظر: أحمد نحراوي عبد السلام، **الإمام الشافعي في مذهبيه القديم والجديد**، ص153.

وإنتاج ثروات علمية ضخمة في أصول الدين وفروعه، حتى أصبح لكل مذهب ثروات عملاقة من التصانيف، وكتب التراجم والطبقات، وكذلك ظهور مقاومات اجتهادية له التي حاولت للفك من أغلال التعصب المذهبي وقيوده، وفيها رجال كابن حزم الأندلسي، وأبي شامة المقدسي، وشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، وابن قيم الجوزية، والإمام محمد بن علي الشوكاني. ولكن سلبياته أكبر وأكثر من إيجابياته، بل أشد خطرا على البلاد والعباد. منها:

- الدورالسلبيالذيقامبهالعلماء المتعصبون
- الموقفالسلبيلكثيرمنالخلفاءوالملوكوأعوانهمفيالتعاملمعظاهرةالتعصبالمذهبي
- الأعمالالسلبيةالتيقام بهاالوعاظالمتعصبون
- تمذهب عوام الناس
- رواج أحاديث ضعيفة وموضوعة بين المتمذهبين المتعصبين
- بقاءكثيرمنالمسائلالأصوليةوالفقهية

  أُلمختلففيهابينالمذاهبمندونتحقيقعلمينزيهيرفعنهاالخلاف
- مخالفةالأتباعالمتمذهبينالمتعصبينلأقوالالأئمةالأربعة
- تميزكلطائفةعنالطوائفالأخرى
- الدورالسلبيلجهازالقضاء خلالالعصرالإسلاميفي تعاملهمعالمذاهبالفقهيةوالتعصبلها

أسباب أخرى

وهناك أسباب كثيرة ساهمت إلى وقوع التعصب المذهبي كثيرة كانت أو قليلة ومباشرة كانت أو غير مباشرة، كضعف الوازع الديني، واتباع الهوى، والغلو في تعظيم الأئمة، والتضييق على أهل السنة ومحاربتهم ومنعهم من المناصب الدينية، والتحاسد بين علماء المذاهب، والدعوى أن باب الاجتهاد مغلق، والاستعمار من قبل العدو الخارجي، وتدوين المذاهب الإسلامية، والرياسة وحب السلطان، والتقليد الأعمى، ودعوى أن كل مجتهد مصيب، وسوء التربية، أو غير ذلك.

المبحث الخامس: حكم التعصب المذهبي عند العلماء

اكتفى الباحث هنا بإيراد فتوى المعاصرين الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان والشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظهما الله عن حكم التعصب المذهبي فيما يلى:

الأول: كان الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله تعالى له كتاب "فتاوى معاصرة"، ذكر فيه أن من منهجه في الإفتاء عدم التقليد الأعمى ولا العصبية المذهبية. قال الشيخ حفظه الله: وأنا لا أرضى لنفسي واحدا من الوصفين أى (العصبية المذهبية والتقليد)، وهذا مع التوقير الكامل لأئمتنا وفقهائنا، فعدم تقليدهم ليس حطا من شأنهم، بل سيرا على نهجهم وتنفيذا لوصاياهم بأن لا نقلدهم ولا نقلد غيرهم ونأخذ من حيث أخذوا، وهذا الموقف لا يتطلب من العالم المسلم المستقل في فهمه أن يكون قد بلغ درجة الاجتهاد المطلق كالأئمة الأولين، وإن كان هذا غير ممنوع شرعا ولا قدرا[28]، هذا يدل على أن التعصب المذهبي غير جائز عنده.

والثاني: سئل الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية عن حكم التعصب المذهبي، قال السائل: هل يجوز التعصب المذهبي الذي يقتدى به الإنسان، في أي حكم من أحكام الشريعة حتى لو كان في هذا مخالفة للصواب؟ أم يجوز تركه والاقتداء بالمذهب الصحيح في بعض الحالات؟ وما حكم لزوم مذهب واحد فقط؟.

فأجاب الشيخ حفظه الله: الذي عنده القدرة على الاجتهاد المطلق لا يجوز له التقليد، والذي لا يقدر يقلد من هو أعلم منه، والتمذهب بمذهب واحد من المذاهب الأربعة المعروفة التي بقيت وحفظت وحررت بين المسلمين والانتساب إلى مذهب منها لا مانع منه، فيقال: فلان شافعي، وفلان حنبلي، وفلان حنفي، وفلان مالكي، ولا زال هذا اللقب موجودا من قديم بين العلماء حتى كبار العلماء يقال مثلا: ابن تيمية الحنبلي، وابن القيم الحنبلي، وما أشبه ذلك، ولا حرج في ذلك، ومجرد الانتماء إلى المذهب لا مانع منه، لكن

[28] يوسف القرضاوي، **فتاوى معاصرة**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 2000م)، ج1، ص8-9.

بشرط أن لا يتقيد بهذا المذهب فيأخذ كل ما به سواء كان صوابا أو خطأ، بل يأخذ منه ما كان صوابا، وما علم أنه خطأ لا يجوز له العمل به، وإذا ظهر له القول الراجح فإنه يجب عليه أن يأخذ به سواء كان في مذهبه الذي ينتسب إليه أو في مذهب آخر، لأن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد. فالقدوة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن نأخذ بالمذهب ما لم يخالف قول الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا خالفه يجب علينا أن نتركه ونأخذ بالسنة، ونأخذ بالقول الراجح المطابق للسنة من أي مذهب كان من مذاهب المجتهدين، أما الذي يأخذ بقول الإمام مطلقا سواء كان خطأ أو صوابا يعتبر تقليدا أعمى، وإذا كان يرى أنه يجب تقليد إنسان معين غير الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا ردة عن الإسلام، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: من قال إنه يجب تقليد شخص بعينه غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، لأنه لا أحد يجب اتباعه إلا محمد صلى الله عليه وسلم، أما ما عداه من الأئمة المجتهدين رحمهم الله فنحن نأخذ بأقوالهم الموافقة للسنة، أما إذا أخطأ المجتهد في اجتهاده فإنه يحرم علينا أن نأخذ بالخطأ[29].

المبحث السادس: نماذج واقعية عن تأثير التعصب المذهبيفي أخلاق العوام

إن التعصب المذهبي يؤثر على العوام مختلف الأخلاق، وردود أفعال، منها:

- **التفاضل بالأئمة والمذاهب**

ومما يبتلى به العوام تفاضلهم بأئمتهم ومذاهبهم، مع أن بين الأئمة أنفسهم فيهم محبة وتعظيما وإجلالا لبعضهم بعضا. قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى عن الإمام مالك: إذا جاء الأثر فمالك النجم[30].

[29] انظر:صالح بن فوزان الفوزان، **التعصب المذهبي في أي حكم من أحكام الشريعة**، طريق الإسلام، https://ar.islamway.net/fatwa

[30] أحمد نحراوي عبد السلام، **الإمام الشافعي في مذهبيه القديم والجديد**، ص196.

وقال أيضا عن الإمام أبي حنيفة: من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة. وقال: قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة؟ فقال: نعم، رأيت رجلا لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته[31]، وغير ذالك من الثناء والتعظيم فيما بينهم.

ولكن تغير الأمر عند العوام أو المقلدين المتعصبين بعدهم، فتعصبهم لمذاهب أئمتهم لا يجعل أخلاقهم كأخلاق هؤلاء العظماء، فساروا إلى ما بين الإفراط والتفريط، وأحيانا بالغوا في الأمر.

نورد هنا أمثلة على ذلك: بعض الحنفية اختلقوا حديثا نسبوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، قال: سيأتي بعدي رجل يقال له النعمان بن ثابت يكنى أبا حنيفة، ليحيين دين الله وسنتي على يديه، وحديث آخر: يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس، ويكون في أمتي رجل يقال لك: أبو حنيفة، هو سراج أمتي[32]. انظر كيف رفعوا واحدا وأسقطوا آخر.

لو كان أئمتهم أحياء لأنكروا مثل هذه الأقوال والأفعال، ما كانوا يعلّمون أتباعهم إلى هذا الحد، ولايوجبون عليهم التزام أقوالهم مهما كانت، ولا يجيزون على أحد منهم أن ينتقص على شخصيات الأئمة، ولكن التعصب قد أوصلهم إلى ما وصلوا.

- **الغلو في تعظيم الأئمة ورفعهم فوق منزلتهم**

ذكر المؤرخأبو شامة المتوفى سنة 665هـ. أن شافعية في زمانه كانوا متعصبين لكتب أبي حامد الغزالي، وأبي إسحاق الشيرازي، حتى ولو كان فيها ما خالف الحديث الصحيح[33].

وكان بعضهم رفع أئمتهم فوق منزلتهم، كما كان الفقيه مسعر بن كدام المتوفى سنة 155هـ، يقول: جعلت أبا حنيفة حجة بيني وبين الله تبارك وتعالى[34]. وقوله هذا فيه نوع

---

[31] ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج5، ص39-42.

[32] محمد عجاج الخطيب، **السنة قبل التدوين**، (مصر: مكتبة وهبة)، ط1، 1993م، ص210.

[33] انظر: أبو شامة، **مختصر كتاب المؤمل**، ص217، 218، 227، 230، 237.

[34] كرتشي، **الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية**، مير كتب خانة، د.ط، د.ت، ج1، ص563.

من الغلو مع أنه لا يوجد لله حجة بينه وبين خلقه إلا كتابه، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأما الأئمة فهم بشر يصيبون ويخطؤون مهما عظمت مرتبتهم العلمية.

- **حرق كتب المخالفين لمذاهبهم**

هناك تصرفات بعيدة عن الحكمة والمصلحة، منها: حرق كتب المخالفين تعصبا عليهم، وانتصارا لمذاهبهم، وقعت هذه الحادثة متكررة خلال العصر الإسلامي: كما حدث لكتب ابن حزم الأندلسي، كان فقهاء المالكية بالأندلس يحرقون كتبه علانية بسبب الخصومة التى حدثت بينه وبينهم، حتى قال ابن حزم في ذلك: فإن يحرقوا القرطاس، لا يحرقوا الذي تضمنه القرطاس، بل هو في صدري[35].

وكذلك ما جرى لكتب الإمام أبي حامد الغزالي زمن دولة المرابطين بالمغرب الإسلامي، وذلك أن السلطان علي بن يوسف بن تاشفين أمر بإحراق كتب الغزالي، وهدد بفتل ومصادرة أموال كل من وجدت عنده مصنفاته أو بعض منها[36].

وذكر الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه "شرح الأربعين النووية": ولقد ضل قوم من الخلف الخالفين الذين أخذوا يسبونه سبا عظيما حتى بلغني أن بعضهم قال: يجب أن يحرق شرح النووي على صحيح مسلم، نسأل الله العافية، فالنووي نشهد له فيما نعلم من حاله بالصلاح، وأنه مجتهد، وأن كل مجتهد يصيب وقد يخطئ، إن أخطأ فله أجر واحد، وإن أصاب فله أجران، وقد ألف مؤلفات كثيرة من أحسنها هذا الكتاب: الأربعين النووية[37].

يا ليت رد أفعال المتمذهبين مع مخالفيهم مثل ما فعل الشيخ بشهادته للإمام النوويبالصلاح، لا يحملهم العصبية مثل ما حدث في الماضية من إحراق كتب العلماء الأجلاء أو غير ذلك من تصرفات بعيدة عن الحكمة والمصلحة.

---

[35] ابن حجر، **لسان الميزان**، ج4، ص400.

[36] ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج6، ص227.

[37] محمد بن صالح العثيمين، **شرح الأربعين النووية**، (عنيزة: دار الثريا للنشر والتوزيع)، ط3، 2004م، ص8.

- **اختلاق روايات الأكاذيب وتحريفات الأخبار**

ومما يتعلق باختلاق روايات الأكاذيب وتحريفات الأخبار، فإن التعصب المذهبي سبب لذلك، والشاهد ما يلي: كان الفقيه أصبع بن خليل القرطبي المالكي المتوفى سنة 272هـ، شديد التعصب للمذهب المالكي حتى أنه اختلق حديثا في ترك رفع اليدين في الركوع والرفع منه، فكشف الناس أمره[38].

والشاهد الآخر، كان الحافظ أبو بشر الدولابي المتوفى سنة 310هـ، حنفيا شديد التعصب لمذهبه، حتى أنه روى حديثا في القهقهة إسناده غير صحيح، فصحّحه لأن أبا حنيفة من رجاله وإسناده هو: روى أبو حنيفة عن منصور بن زاذان عن المجلسي عن معبد الجهني عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم، والخلل في هذا الإسناد هو أن الدولابي قال أن معبد الجهني هذا هو معبد بن هوذا الذي ذكره البخاري في تاريخه، وهذا غير صحيح، لأن معبد بن هوذا أنصاري وليس من قبيلة جهنية، ومعبد الجهني تابعي وليس صحابيا، فكيف يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟[39].

- **إقامة المساجد الطائفية**

ربما نسمع اليوم أن فئة من الناس يدعو إلى بناء المساجد خاصة لطوائفهم أو مذاهبهم، كي يتمكن لهم إظهار تعاليمهم المذهبية وتوسعتها عند الناس، وهذا الأمر ليس بجديد، بل قد ظهر منذ القرون الماضية، وليعلم القارئ أن من المظاهر المادية للتعصب المذهبي، وجود المساجد الطائفية والمذهبية.

والشواهد على ذلك كثيرة، منها: كانت مساجد دمشق مقسمة بين الطوائف السنية، فمعظم المساجد في داخل السور للشافعية ثم للحنفية، ثم للمالكية، ثم للحنابلة. ومعظم المساجد في خارج السور للحنابلة، والباقي للشافعية والحنفية[40].

---

[38] ابن حجر، **لسان الميزان**، ج1، ص458.

[39] ابن حجر، المرجع السابق، ج5، ص41.

[40] يوسف بن عبد الهادي، **ثمار المقاصد في ذكر المساجد**، ص145-159.

وبمدينة مرو ببلاد خراسان، كانت فيها مسجدان يفصلهما سور، واحد للشافعية والآخر للحنفية، وكذلك الحال بمدينتي بغداد وحران، فقد وجدت فيهما مساجد طائفية تابعة للطوائف السنية[41].

والأعجب من ذلك أنه وجدت محاريب متعددة داخل المسجد الواحد حسب الطوائف المذهبية، فتصلى كل طائفة في محرابها، ولا تصلى في المحراب الآخر، وكانت في الحرم المكي خمسة محاريب للصلاة، وهي: الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة والشيعة[42].

والمسجد الأقصى كان مقسما بين الطوائف السنية الأربعة، وكان لكل منها محرابها الذي تصلى فيه، وتعقد فيه حلقاتها العلمية[43].

وكذلك بدمشق، كان الجامع الأموي بداخله أربعة محاريب[44]، وهذه المحاريب لم تزل موجودة إلى يومنا هذا، لكنها معطلة، إلا واحد منها يصلى فيه كل الناس، لذا فلا عجب ما وقع اليوم من التعصب المذهبي بين الطوائف، فالتاريخ قد يعيد نفسه.

- **التكفير المتبادل بين المذاهب**

التكفير والتبديع والتفسيق ليس أمرا هينا في الشريعة الإسلامية، كل له ضوابط وشروط كافية متوفرة للشخص حتى يخرج الحكم بالتفسيق أو التبديع أو التكفير له، ولكن اليوم نسمع كثيرا مستعجلين في إصدار الحكم للمسلمين بالتفسيق والتبديع بل التكفير، ولا سيما

---

[41] انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص114. وابن الجوزي، **المنتظم**، ج9، ص179، وج10، ص103.

[42] ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، (الجزائر: موفم للنشر)، 1988م، ص71.

[43] أبو اليمن مجير الدين، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، (النجف: المطبعية الحيدرية ومكتبتها)، 1968م، ج2، ص32.

[44] النعيمي، **الدارس**، ج2، ص217،394. وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج13، ص339.

للعوام الذين حضروا الدروس والتعليم بشهر أو شهرين صار هذا الأمر لديه سهلا وهينا وهو عند الله عظيم.

وربما سار على لسان العوام هذه الوصفات عاجلة دون آجل، إذا سمع كلاما يخالف ما سمعه من أستاذه أو شيخهفيقول: هذا ليس بصحيح أو هذا الرجل مبتدع، وهذا الشيخ يقول بلا علم. وإذا سمع من أستاذه انتقاد الآخرين بالتبديع أو التفسيق تبعه بلا ريب، فيقول: هذا الرجل ليس من أهل السنة، وهذا الرجل ليس من أهل الخير والصلاح، أو هذا من دعاة الفتن. حتى لا يبقى لعالم إلا وهو ناقد له مع أنه للأسف الشديد ليس لديه أهلية في علوم الشريعة ولا يحسن اللغة العربية، وكيف ذلك وهو بدأ سماع المحاضرة أو حضر الحلقات العلمية قبل شهر أو شهرين والآن أصبح عالما من علماء الجرح والتعديل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا رأينا في صفحات التاريخ وجدنا هذا الأمر موجودا بل أشد من واقعنا اليوم، نذكر النماذج فيما يلي: ما حدث بين المتكلم نجم الدين الخبوشاني الأشعري المتوفى سنة 587هـ، والحنابلة وأهل الحديث بمصر من نزاع وتناحر، فقد كان يكفرهم ويكفرونه، وهو الذي نبش قبر المحدث ابن الكيزاني المصري المدفون بجانب قبر الشافعي ويقول: لا يكون صديق وزنديق في موضع واحد[45].

وحدث للحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي المتوفى سنة 600هـ، لما أظهر مذهبه في صفات الله تعالى أنكر عليه طائفة من الأشاعرة، ورفعوا أمره إلى ولي الأمر بدمشق، وناقشوه في مذهبه، فلما أصر عليه كفّروه وبدّعوه[46].

وما حدث لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية، لما أظهر مذهبه في صفات الله تعالى على طريقة السلف وأهل الحديث تألب عليه جماعة من الأشاعرة ورفعوا أمره إلى

[45] ابن تغري بلدي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص115-116. والسبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج7، ص15.
[46] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج21، ص446.

السلطان، ثم انتهى أمره إلى قضاة المذاهب الأربعة فحكم عليه القاضي المالكي ابن مخلوف بالسجن والكفر[47].

والشاهد الأخير ما حدث للواعظ إبراهيم الحلواني الشافعي المتوفى سنة 780هـ، كان له مجلس بجامع الأزهر يقرأ فيه صحيح البخاري، فجاءه رجل ذات يوم بكتاب فيه مناقب الشافعي، وقال له: أمرك القاضي برهان الدين بن جماعة الشافعي بقراءة الكتاب على الناس، فكان مما قرأ عليهم أن رجلا رأى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأ قوله تعالى: **فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**[48]. فلما قرأ: (**فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ**) أشار إلى الإمام أبي حنيفة وأصحابه أي كفرهم، وأشار ببقية الآية إلى الإمام الشافعي وأصحابه، فشكاه بعض الحنفية إلى قاضيهم، فعزّره وسجنه[49]. انظر كيف حصل التبديع والتكفير المتبادل بين الطوائف أو المذاهب السنية بسبب التعصب، حتى وصل الأمر إلى نبش قبر مسلم، وهذا غريب ما يأباه الشريعة الإسلامية والعقل مهما كانت المبررات.

الخاتمة

وخلاصة القول، نودّ عرض ما يمكن لنا أن نستخلص بعض النتائج منهذا البحث، منها:

- ❖ خطورة التعصب المذهبي لدي العوام ما يسبب كثيرا من الفرقة والفتن بين المسلمين، وذلك ما يسر الأعداءلتفريق صفوف المسلمين.
- ❖ إن التعصب المذهبي ليس منهيا على العوام من الناس فحسب، بل هو منهي على جميع الطبقات العلمية أيا كان، لأنه رفض للحق عند ظهور دليله، وهذا يضر على جميع الناس علمائهم وعوامهم، فيقع الفوضى فيما بينهم.

---

[47] الشوكاني، **البدر الطالع**، ج1، ص67.

[48] سورة الأنعام: 89.

[49] ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج1، ص70.

- ❖ العوام ربما تعلموا أو سمعوا عالما يبين الخطأ، ولكن لم يتعلموا كيف تصحيح الخطأ وكيف علاجه، لذا وقع كثير من سوء التفاهم بين الناس لتجرأهم بيان الخطأء بلا حكمة وقدوة حسنة.
- ❖ التمذهب بإحدى المذاهب الأربعة ليس بمانع عند العلماء ولكن إذا صاحبه التعصب المذهبي فلا خير فيه.
- ❖ للعالم عليه أن يتزين بأخلاق فاضلة، لأن العوام تخلقوا بأخلاق عالمهم، إن أحسن فأحسنوا، وإن أساء فنماذج واقعية في التاريخ التي ذكرنا شاهدة على الفوضى في ذلك.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

إبراهيم بن عبد الله المزروعي.(2017م). **التعصب المذهبي وآثاره**. بيت الأفكار الدولية. ط1.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1358هـ). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**.

ابن العماد، أبو الفلاحعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي.(1989م). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. تحقيق: محمود الأرناؤوط، بيروت. دار ابن كثير. ط1.

ابن تغري بلدي،(د.ت). **النجوم الزاهرة**. مصر. المؤسسة المصرية العامة للكتاب. د.ط.

ابن جبير. (1988م). **رحلة ابن جبير**. الجزائر. موفم للنشر. د.ط.

ابن حجر، أحمد بن عليأبو الفضل العسقلاني الشافعي. (1986م). **لسان الميزان**. تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند. بيروت. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. ط3.

ابن حجر، أحمد بن عليأبو الفضل العسقلاني الشافعي. (د.ت). **إنباء الغمر بأبناء العمر**. د.ط.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (1968م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر. د.ط.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. (د.ت) **البداية والنهاية**. بيروت. مكتبة المعارف. د.ط

ابن منظر، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي. (1414هـ).**لسان العرب**، بيروت، دار صادر. ط3.

أبو اليمن، مجير الدين. (1968م). **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**. النجف. المطبعية الحيدرية ومكتبتها. د.ط.

أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي. (1403هـ). **مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول**. تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد. الكويت. مكتبة الصحوة الإسلامية. د.ط.

أحمد أمين. (2012م). **ضحى الإسلام**. القاهرة. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. د.ط.

أحمد نحراوي عبد السلام.(د.ت). **الإمام الشافعي في مذهبيه القديم والجديد**. إندونيسيا. مئسسة النحراوي. ط4.

أستاذ الدعوة المشارك بكلية أصول الدين الجامعة الإسلامية بغزة.(2012م).**التعصب الفكري وأثره في العمل الإسلامي** المعاصر. د.ط.

إياد أحمد محمد إبراهيم. (2016 م).**أسباب التعصب الجماهيري الرياضي وعلاجه رؤية شرعية**. الرياض. المجلة العربية للدراسات الأمنية والأدب. د.ط.

بيروت. دار صادر. ط1.

خالد كبير علال. (2008م).**التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي**. دار المحتسب. د.ط.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. (د.ت). **سير أعلام النبلاء**. تحقيق: بشار عواد. بيروت. مؤسسة الرسالة. د.ط.

السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي. (1992م). **طبقات الشافعية الكبرى**. تحقيق: محمد الطناجي. الجزيرة. دار هجر. ط2.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني. (د.ت)**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. **بيروت**. دار المعرفة. د.ط.

العثيمين، محمد بن صالح. (2004م). **شرح الأربعين النووية**. عنيزة. دار الثريا للنشر والتوزيع. ط3.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (د.ت).**القاموس المحيط**. د.ط.

القرضاوي، محمدبن يوسف بن عبد الله.(2000م). **فتاوى معاصرة**. بيروت. المكتب الإسلامي. ط1.

كرتشي، **الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية**. مير كتب خانة.

محمد الغزالي.(2005م). **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**. مصر. نهضة مصر. ط6.

محمد عجاج الخطيب. (1993م). **السنة قبل التدوين**. مصر. مكتبة وهبة. ط1.

النعيمي، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي. (1990م). **الدارس في تاريخ المدارس**. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. ط1.

هيوا حاجى ديلوبى. (2008م). **الاتجاهات التعصبية بين الجماعات العراقية**. ط1.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي.(1995م). **معجم البلدان**. بيروت. دار صادر. ط2.

يوسف بن عبد الهادي. (د.ت). **ثمار المقاصد في ذكر المساجد**. تحقيق: أسعد طلس. دمشق. المهد الفرنسي. د.ط.

المراجع والمصادر

1. Ibrahim bin Abdullah Al Mazroui. Atta'ashub al-mazhabi wa atsaaruhu. (Baitu al afkar addauliyyah, 1st edition, 2017 M).
2. Ibn al-Jawzi, Abu al-Faraj Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad. Al-muntazhim fi taariikh al-muluk wa al-umam. (1358 H).
3. Ibn al-Imad, Abu al-Falah Abd al-Hayy bin Ahmed bin Muhammad ibn al-Imad al-Akri al-Hanbali. Syazarotu azzahab fi akhbaar man zahab.al-muhaqqiq: Mahmoud Al-Arnaout, (Beirut. Daar Ibnu Katsir. 1st edition, 1989 M).
4. Ibn taghozzi baladi, an-nujuum az-zahiroh. (Mesir: al-muassasah al-mishriyyah al-'ammah li al-kitaab)
5. Ibn Jubair. rihlah Ibn Jubair. (Aljazair: mufam li an-nasyr, 1988 M).
6. Ibn Hajar, Ahmed bin Ali Abu al-Fadl al-Ashqalani al-Syafi'i. Lisaan al-miizaan. Tahqiiq: daairoh al-ma'rifah annizomiyyah-alhind. (Beirut. Muassasah al- a'lami li al-mathbua't, 3st edition, 1986 M).
7. Ibn Hajar, Ahmed bin Ali Abu al-Fadl al-Ashqalani al-Syafi'i. Inbaa' al-ghumr bi abnaa'i al-umr.
8. Ibn Khaldan, Abu al-Abbas Syamsuddin Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim bin Abi Bakr Ibnu Khahlakan al-Barmaki al-Erbeli. Wafayaatu al-a'yaan wa anbaau abnaai az-zamaan. Al-muhaqqiq: Ihsan Abbas.(daar shodir 1968 M).
9. Ibn Katheer, Abu al-Fida ', Ismail bin Omar bin Kathir al-Qurashi al-Basri, tsumma ad-Dimasyqi. Al-bidaayah wa an-nihaayah. (Beirut. Maktabatu al-maa'rif).
10. Ibn Munzhir, Muhammad bin Makram bin Ali Abu al-Fadl Jamal al-Din Ibn Manzoor al-Ansari al-Ruwa'ifi al-ifriqi. Lisan Al Arab. (Beirut: Dar Sader, 3st edition, 1414 H).
11. Abu Yaman, Mujiruddin. al-unsu al-jaliil bi taariikh al-quds wa al-kholiil.(Najaf: al-mathba'iyyah Al-Haidariyyah wa maktabatuha, 1968 M).
12. Abu Shama, Abdul Rahman bin Ismail bin Ibrahim Al-Maqdisi. Mukhtashor al-muammal fi ar-rad ila al-amri al-

awwal. Al-muhaqqiq: Salah al-Din Maqbool Ahmad. (Kuwait: maktabah ash-shohwah al-islaamiyyah, 1403 H).
13. Ahmed Amin. Doha al-islaam. (al-qohiroh: muassasah Hindaawi li at-ta'liim wa as-tsaqoofah, 2012 M).
14. Ahmed Nahrawy Abdel Salam. Imam Al-Syafi'i fi mazhabaihi al-qodiim wa al-jadiid. (Indonesia: Yayasan Al-Nahrawi, 4st editon).
15. Ustaaz ad-da'wah al-musyarik, bi kulliyyah ushul ad-diin, al-jaami'ah al-islaamiyyah Gaza. At-ta'ashshub al-fikri wa atsaruhu fi al-'amal al-islaami al-mu'ashir.(2012 M).
16. Iyad Ahmed Mohamed Ibrahim. Asbaab at-ta'ashshub al-jamaahiiri ar-riyadhi wa 'ilajuhu ru'yatan syar'iyyatan. (Riyad: al-majallah al-'arobiyyah li ad-dirosaat al-amniyyah wa al-adab, 2016 M).
17. Khaled Kabir Allal. At-ta'ashshub al-mazhabi fi at-taariikh al-islaami. (Dar Al Muhtaseb, 2008 M).
18. Az-zahabi, Syamsuddin Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz. Siyar 'alaami an-nubala'. Al-muhaqqiq: Bashar Awad. (Beirut: muassasah ar-risaalah).
19. Al-Sobky, Abdul-Wahab bin Ali bin Abdul Kafi. Thobaqot asy-syafi'iyyah al-kubro. Al-muhaqqiq: Mohammed Al-Tanaji. (al-jaziiroh: daar hajar, 2st edition, 1992 M).
20. Al-Shawkani, Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah Al-Yamani. Al-Badr t-tholi' fi mahaasin man ba'di ah-qorn as-saabi'i. horoskop dengan jasa setelah abad ketujuh. (Beirut: daar al-ma'rifah).
21. Al-Uthaymeen, Muhammad bin Saleh. (2004 M). Syarhu al-arbaii'n an-nawawiyyah. (Unayzah: daar at-tsuroyya li an-nasyri wa at-tauzii', 3st edition, 2004 M).
22. Fairuaz abaadi, Muhammad bin Yaqoub. Al-qoamuus al-muhiit.
23. Al-Qaradawi, Muhammad bin Youssef bin Abdullah. Fataawa mua'shiroh. (Beirut: almaktab al-Islami, 1st edition, 2000 M).
24. Kartasyi. Al-jawahir al-mudhiah fi thobaqot al-hanafiyyah. (Mir kutub Khan).
25. Mohamed Al-Ghazali. At-ta'shshub wa at-tasaamuh baina al-masiihiyyah wa al-islaam. (Mesir: nahdhoh mesir, 6st edition, 2005 M).
26. Muhammad Ajaj Al-Khatib. As-sunnah qobla At-tadwiin. (Mesir: maktabah Wahba.1st edition, 1993 M).
27. Al-Nuaimi, Abdul Qadir bin Muhammad Al-Nuaimi Al-Dimashqi. Ad-daaris fi tariikh al-madaaris. Al-muhaqqiq: Ibrahim Shams El-Din. (daar al-kutub al-Ilmiah,1st edition, 1990 M).

28. Hiwa Haji Deloye. At-tijaahaat at-ta'shshubiyyah baina al-jamaa't al-iraqiyyah. (1st edition, 2008 M).
29. Yaqout al-Hamwi, Shihabuddin Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah al-Rumi al-Hamwi, mu'jamu al-buldaan. (Beirut. Daar shodir, 2st edition, 1995 M).
30. Youssef bin Abdul Hadi. Tsimaaru al-maqoosid fi zikri al-masaajid. Al-muhaqqiq: as'ad tholas. (Damaskus: al-mahdu al-faransi).

المواقع الإلكترونية

https://ar.wikipedia.org/wiki/
https://ar.islamway.net/fatwa
http://arab-ency.com.sy/detail/3613